المـــوت ...

حجة اللائحة الملزمة

للشاعرة أيلا هويلر ولككس

للآنسة الفاضلة « الزهرة »

سيدى الأستاذ الجليل الزيات

هل كنت أريد مهادنة لوعتى التى أماج معامها مقالكم المؤثر البليغ بمناسبة الأربعين « فى حزن الملك الطفل » حين لجأت إلى ديوان نفيس ، لشاعرتى العزيزة أيلا هويلر ولككس ، ساعة أن انتهى إلى العدد الأخير النفيس من « رسالتكم » الغالية ! ! وهل كانت المصادفة الرحيمة هى التى طالعتنى لأول ما فتحت الديوان بهذه القصيدة وأجرت القلم بترجمتها فى الحال ، وجاء مقالة تلك الحسرات العصية التى ما برحت تغلب الجلد وتغذى الجزع ، حتى كادت تسد سبيل الصبر ، وتصرف عن مواطن الرشد ، وتذهل عن سنة الله فى خلقه ، والدهر فى أهله ، منذ مضى الملك الشهيد « غازى الأول » فرع الأرومة الزكية ، والقائم من منصب السؤدد فى الذروة العلية ، ذلك الذى غادر ترب المروءة يتيم بيته ، وجعل أمل الحامد يبكى بهجته . وكيف يعزى المصاب من لم يدع لهم المصرع الأليم والخسارة الفادحة فؤاداً يجلد فى وجه الشجون ، لندرة الرجال فى هذا الشرق الجديب المحزون ؟!

أتول هل كانت المصادفة العجيبة ، مدداً رحيماً لما عاملك عن عزم فى النفس لا عن يأس ، بل تذكرة ثابتة تلجئ إلى الاقتناع بأن الأسوة فى بعض الأمور قد تكون سبيلاً إلى التأسى . . . إذا عجز العزاء وأعيا المعزى . . . على أنه سبحانه المسؤول أن يكتب لآلاف القلوب المكلومة عزاء جميلاً ، وأجراً على الصبر جزيلاً ، وأن يعزى بطول بقائكم دولة الفضل والكمال ، ويسكب على الفقيد الشاب المقيم سحائب الرحمة والرضوان بمنه وكرمه .

« الزهرة »

يقول الموت :

لِمَ ترتاع من إيذان قدومى ، وتنقبض من ارتقاب زورتى أيها الإنسان ؟ ولِمَ تهطع مستطيراً مروّعاً حين آتى لأقبضك إلى رحمة الله وأنتقل بك إلى دار القرار ؟ لم تفرّ من أمامى مشيحاً مستهلكاً ، وتتشبث بأذيال الحياة مُمزّقاً ردائى الأفاكة المرجفة ، ورصيفتى السرّاجة الرّاجة !

ألستُ أفيئك ظلال السكون العميق وأقيلك بين أعطاف النعمة ، إذ أريحك من الشقاء وأعفيك من الشقاء فلا تشغل ذرعك بمهمة ، ولا تنقل قدمك إلى تَرْك !

فلماذا تحاول أن تحاجزنى عن ذاتك ، وتقيم بينى وبينك السدود ؟ لماذا تهضمنى وتطلق لسانك فى حرمتى وتعبث بكرامتى ! لماذا تسلط علىّ بأس لعنانك ، وتنزل بى أنكى نقماتك ؟!

وأنا — منذ خلقنى الله قانوناً طبيعياً لا يدفعه دافع فى هذا العالم وجعلنى سنّة الخلق التى لا تبديل لها ولا تغيير لم أجرّ على أحد مضرّة ولم أمسّه بأذى ، بل أسوّتُ كل جرح ونشّه بالبلسم الشافى ، وضمدت كل قرح وأنضجته بالمسخن الوافى

وظللتُ هذه الدنيا بستر راحتى الأبدية ، إذ ضربت لها خيمة الطمأنينة الدائمة ، وأوجدت لها مدىّ الغبطة القائمة ، لكى تأوى إليهما مما يندلع عليها باستمرار من نيران خطوبها اللاحقة ، ومصائبها اللاذعة ، وهمومها الجائحة ، وأطماعها الهائجة ، ووساوسها المائجة ، وألاعيبها المفترسة ، وغواياتها المترامية ، وزخارفها المتراصفة ، وأحوالها المتقاذفة .

وتلك التضرعات العارضة التى طالما خرجت من أفواه ظمأى تلتمس الرحمة للنفس والعزاء فما ابتلّت لهاتها بباطل ، ولا حليت بتافه .. بل تلك الاستعطافات التى طالما صعدتها قلوب جياشة باستغاثات تفطرها المرائر ، ولكنها لم تصب منها رغبة ، لأن الحياة ولتها من قلبها جانباً صلباً ، وأولتها من إعراضها نكيراً وكرباً .

لقد سوّغتها أنا واستجبتها وألقيت عليها رحمتى ، ومددت لها أكناف مرحمتى ...

فهلاّ علمت أن عدلتى القاسية وقسمتى الجافية هى التى تقلبك فى ردغة الخبال وحمأة النكال ، وتقصم ظهرك بوقر العقاب ، وتسوقك كل يوم بسوط العذاب ، وتخدعك بعقد يسبقه الانحلال والنصب ، وتحطمك بزوال لا تتوقعه عن حجر النعمة ، وصراع يأخذ عليك سبل الهناء ، وكفاح يدفعك عن مناهل الرجاء ، وإعنات للنفس بما تعلم أن غايتك فيه اللغو والفشل ، وحملها على الجهد فى مطالب لا يصحب جهدك فيها أمل

هلاّ علمتَ أن شوكتى هى أعظم شوكة فى الوجود ، لأنى آخر أعمال الحياة فى الوجود . فعلام تتمسك بعروتها ، وإلام تسكن إليها ، ولِمَ تصارمنى إذاً وتقلب لى ظهر المجن ؟ « الزهرة »

الافصاح فى فقه اللغة

معجم عربى : خلاصة المخصص وسائر المعاجم العربية . يرتب الألفاظ العربية على حسب معانيها ويسعفك باللفظ حين يحضرك المعنى . أقرته وزارة المعارف ، لا يستغنى عنه مترجم ولا أديب ، يقرب من ٨٠٠ صفحة من القطع الكبير . طبع دار الكتب ، ثمنه ٢٠ قرشاً يطلب من مجلة الرسالة ومن المكتبات الكبيرة ومن مؤلفيه :

حسين يوسف موسى ، عبد الفتاح الصعيدى